



السويداء: صراع الأجنـدات المـطـيئة والدولية

إعداد: فراس فحام
باحث رئيسي في مركز جسور للدراسات

دراسة

تشرين الأول/ أكتوبر 2021

جسور للدراسات
JUSOOR FOR STUDIES





مؤسسة مستقلة متخصصة في إدارة المعلومات وإعداد الدراسات والأبحاث المتعلقة بالشأن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني في منطقة الشرق الأوسط والشأن السوري بشكل خاص، لمد جسور نحو المسؤولين وصناع القرار في كافة تخصصات الدولة وقطاعات التنمية لمساعدتهم في اتخاذ القرارات المتوازنة المتعلقة بقضايا المنطقة من خلال تزويدهم بالمعطيات والتقارير المهنية الواقعية الدقيقة.



04	-----	مدخل
05	-----	أولاً: خصوصية محافظة السويداء 2011
07	-----	ثانياً: أبرز الفاعلين المحليين 2011
07	-----	1 - المرجعية الدينية
10	-----	2- الفئات والمجموعات العسكرية
14	-----	ثالثاً: مصالح الفاعلين الخارجيين ومواقفهم
17	-----	رابعاً: مستقبل المحافظة المحتل
19	-----	خاتمة

تمهيد

يعيش في محافظة السويداء جنوب سورية أكثر من 550 ألف نسمة، غالبيتهم من طائفة "الموحدّين الدروز"، في حين تُقدر نسبة المسيحيين بـ11٪ من إجمالي عدد السكان، أما المسلمون الشنّة فنسبتهم قرابة 2٪⁽¹⁾.

ومع اندلاع الاحتجاجات الشعبية ضد النظام السوري عام 2011، ثم تصاعد المواجهات العسكرية بين القوات الموالية لبشار الأسد والمعارضة السورية، نأى غالبية السكان المحليين بأنفسهم، وتجنّبوا اتخاذ موقف داعم للنظام السوري أو مناهض له. بالمقابل بدأ واحداً الحذر بالتعاطي من طرف النظام مع السويداء لما لها من خصوصية سياسية وجغرافية.

عانت السويداء من ارتدادات الوضع العام في سورية، رغم عدم تدخلها المباشر في الصراع الدائر بالبلاد، والمعاناة هذه يمكن رصدها على الأصدّة السياسية والأمنية والاقتصادية، نتيجة غياب دور الدولة بقصد أو بسبب فقدان القدرة على التدخل.

التفاعلات التي شهدتها المحافظة، على مدار السنوات الماضية، أفرزت اليوم سلطات دينية متعددة متنافسة، وفصائل محلية بتبعيّات مختلفة نظراً إلى ارتباطاتها الدولية والإقليمية، ما دفعها في بعض الأحيان إلى المواجهة البيئية، وهذا ما يتيح للنظام السوري وحلفائه بيئة عمل خصبة ومحبّبة.

تستعرض هذه الورقة خصوصية محافظة السويداء، بالنظر إلى الاعتبارات السياسية والجغرافية والدينية، والتي جعلت منها نموذجاً متفرداً عن باقي المحافظات السورية، بالإضافة إلى تحديد أبرز الفاعلين المحليين المؤثرين في الواقع العسكري والأمني، والتطرق إلى المصالح التي تدفع الجهات الدولية للاهتمام بالسويداء والسعي لتأسيس نفوذ بداخلها، مع استشراف المسارات المحتملة التي قد نشهدها، على وقع تكرار الصدمات والمواجهات العسكرية بين الفصائل متعدّدة الولاءات.

اعتمدت الدراسة التحليلية على مقابلة مع نشطاء سياسيين من محافظة السويداء، وبعض المقرّبين من المرجعيّات الدينية، تم إجراؤها في الفترة الممتدة من 28 أيلول/ سبتمبر، حتى 4 تشرين الأول/ أكتوبر 2021، بالإضافة إلى تقارير المعلومات التي نشرتها مؤسسات موثوقة عن أوضاع محافظة السويداء.

(1) بالأرقام... تعرف على عدد سكان السويداء عام 2019، موقع "السويداء 24" المحلي، <https://suwayda24.com/?p=13071>: 2020/2/17

خصوصية محافظة السويداء

على الرغم من نزول فئة من السكان المحليين إلى الشارع، وتبنيهم في بعض الأحيان سقوفاً مرتفعة من المطالب، وصلت إلى درجة الدعوة إلى إسقاط النظام، وبالمقابل مشاركة بعض أبناء المحافظة في الميليشيات الموالية للأسد، إلا أن أغلب المجتمع ذي الأثرية الدرزية فضل اتخاذ موقف أقرب للحياة، محدّداته الأساسية "عدم المشاركة في الدم السوري"، بالإضافة إلى تبني فكرة الدفاع عن أبناء المنطقة ضد أي تهديدات خارجية، سواء عن طريق زحف قوات المعارضة العسكرية إلى المناطق المحسوبة على المكوّن الدرزي، كما جرى في معركة مطار "الثعلة" العسكري صيف 2015⁽²⁾، أو مجابهة تنظيم داعش، وتوفير الحماية للشبان الراضين الالتحاق بقوات الأسد ضمن محافظة السويداء⁽³⁾.

وثمة سياقات تاريخية لموقف الدرّوز في محافظة السويداء من أحداث سورية بعد عام 2011، حيث كلفتها مشاركتها في الاحتجاجات السورية بين عامي 1953 و1954 في زمن الرئيس أديب الشيشكلي اقتحاماً لجبل الدرّوز والسويداء بآلاف العناصر، كما عانت السويداء في مراحل عديدة من السلطة المركزية في دمشق، ازدادت أكثر منذ المحاولة الانقلابية التي قادها الضابط "سليم حاطوم" المنتمي للطائفة الدرزية عام 1966، وما تبعها من إقصاء حافظ الأسد وحليفه صلاح جديد للضباط المنتمين لطائفة الدرّوز من المراكز القيادية في الجيش السوري، في خطوة فهم أنها استئثار من قبل الطائفة العلوية على قيادة الجيش، بعد الاستفادة من الضباط الدرّوز في انقلاب آذار/مارس 1963، وهذا الإقصاء لم يغيره تعمّد النظام تصدير العميد "عمام زهر الدين" ابن محافظة السويداء خلال المواجهات مع المعارضة المسلحة بعد عام 2011.

واقع محافظة السويداء بعد اندلاع احتجاجات 2011 شكّل في نهاية المطاف حالة من "التمرد الصامت" من وجهة نظر النظام السوري، الذي يرفض بقاء أي بقعة جغرافية خارج نطاق سيطرته الفعلية والأمنية، وإن لم تكن تتبع لسيطرة المعارضة، إلا أنها اتخذت موقف النأي بالنفس، وهو ما يفسره النظام على أنه حياض سلبي.

النظام ومن خلفه حلفاؤه تجنّبوا فرض الحل العسكري في السويداء على غرار باقي المناطق الخارجة عن سيطرته، إذ إنه أراد الحفاظ على سرديته المتعلقة بضمانه أمن الأقليات في سورية، والدفاع عنها بوجه "التطرف"، وأيضاً لأن دمشق تدرك خطورة الزج بالمؤسسة العسكرية في المنطقة، وما يمكن أن تكون عليه الارتدادات المحتملة على صعيد دفع مكونات المجتمع السوري إلى التكتاف وتشكيل حالة مقاومة ستكون مرهقة، فمصلحة النظام اقتضت عزل مكونات المجتمع عن بعضها البعض، وليس توحيداً ضده.

(2) درّوز سوريون يشاركون في التصدي لمقاتلي المعارضة جنوب البلاد، وكالة "رويترز"، 2015/6/12: <https://reut.rs/3uDSkHh>
 (3) عدد المتخلفين عن الخدمة العسكرية في السويداء مع حلول عام 2021، شبكة "السويداء 24" المحلية، 2021/2/15: <https://bit.ly/3ovSrUB>

الحسابات السياسية أدت دوراً أيضاً في ملف السويداء، فقد تجنبت روسيا المقاربة العسكرية لحرصها على عدم إغضاب إسرائيل، التي طالبت مراراً بحماية دروز سورية عسكرياً، لاعتبارات أمنية تتعلق بضمان بقاء المؤسسة العسكرية السورية المخترقة من إيران بعيدة عن حدود هضبة "الجولان"⁽⁴⁾. وتمتلك الطائفة الدرزية في سورية علاقات متشعبة مع الدرروز في كل من لبنان وفلسطين والأردن وداخل إسرائيل. هذه العلاقات قائمة على الروابط العشائرية القوية، والدينية والمذهبية، وقد مارست المرجعيات الدينية الدرزية في مختلف الدول الضغط على الحكومات للتدخل سياسياً بهدف حماية دروز سورية وتجنبيهم الحلول العسكرية⁽⁵⁾.

ابتعاد النظام السوري عن الحل العسكري في السويداء لا يعني غيابه التام عن المحافظة الواقعة جنوب سورية، إذ إنه عمل بشكل مستمر على إحداث خروقات أمنية طيلة السنوات الماضية، مستفيداً من امتلاكه أفرعاً أمنية، قادرة على ممارسة نشاطها بحرية ودون مضايقات كبيرة من فصائل المحافظة المحلية المتعددة، باستثناء بعض الصدامات التي يتم احتواؤها لاحقاً. واللافت أن الأجهزة الأمنية باتت تعمل مؤخراً على استغلال بعض نقاط الضعف في البنية الاجتماعية بالسويداء، من مثل الحساسيات العائلية، وتقوم بتعزيز الروابط مع بعض العائلات وتقديم الدعم لها في مواجهة عوائل أخرى.

ورغم تعدد الفصائل المسلحة، واختلاف التوجهات السياسية لها في بعض الأحيان، فإن اللافت أنها ظلت طيلة السنوات الماضية تتحرك تحت سقف عدم الصدام بين أبناء الطائفة الواحدة، إلا أنه مع مرور الوقت، بدأت عوامل ضاغطة عديدة تُحدث تغييرات ملحوظة في واقع السويداء، فقد صارت المحافظة تشهد مواجهات مسلحة بين فصائل موالية للنظام السوري وأخرى مناهضة له، رغم انتمائها جميعاً للطائفة الدرزية، تحت تأثير التحديات الأمنية المتعلقة بالبحث عن حلول لضبط الأمن، والوضع الاقتصادي والمعيشي المتردي، ومحاولة تأمين موارد مالية، مما فتح الباب أمام التدخلات الدولية والإقليمية، بالإضافة إلى النشاط المرتفع للأجهزة الأمنية للنظام السوري، واعتمادها على توظيف مجموعات وعناصر موالية لها، من أصحاب السوابق الجنائية، ممن يدير تجارة الممنوعات، ولا يقيم وزناً للمرجعية الدينية أو المجتمعية بحكم تمرده على المبادئ والقيم. التنافس والأجندات الدولية لها حضورها في المشهد العام لمحافظة السويداء، نظراً إلى موقعها الجغرافي المؤثر من الناحية السياسية والجغرافية، سواء على صعيد القرب من هضبة الجولان، أو الحدود "السورية - الأردنية"، أو البادية السورية، وهذا التنافس والصراع الدولي، أصبح مع مرور الوقت محدداً مهماً لسلوك المكونات المحلية.

(4) إسرائيل تطالب واشنطن بحماية دروز سورية عسكرياً، الجزيرة نت، 2015/6/14: <https://bit.ly/3oCsFhG>

(5) الرئيس الروحي للطائفة الدرزية في إسرائيل "موفق طريف" يطالب بحماية الأقليات في سورية ومنع الاعتداءات ضد الدرروز، مقابلة مع إذاعة "مونتي كارلو" الدولية، 2020/5/18: <https://bit.ly/3ab0o9n>

ثانياً:

أبرز الفاعلين المحليين

انقسم المجتمع المحلي في السويداء جبال ما يجري في سورية إلى ثلاث فئات، الأولى تتبني خطاباً أقرب للمعارضة السورية، وأبرز النماذج عليها "الهيئة الاجتماعية للعمل الوطني"⁽⁶⁾، والثانية موالية للنظام السوري، مثل قوات "الدفاع الوطني" بقيادة "رشيد سلوم"، والثالثة، وهي الفئة الأكبر، تنتهج موقف الحياد، حيث نأت بنفسها عن الصراع الدائر في البلاد، وفي طليعتها "حركة رجال الكرامة".

كما يمكن الاستدلال على الشريحة الشعبية المحايدة من خلال النظر إلى أعداد الشبان الراضين الالتحاق بالتجنيد الإلزامي في صفوف النظام السوري، دون تبنينهم لمعارضته، في امتداد لمواقف تاريخية قديمة متعلقة برفض أبناء الطائفة الدرزية في سورية للتجنيد الإجباري منذ عهد الخلافة العثمانية، وحكم "محمد علي باشا" لسورية. وتبدو المرجعية الدينية للموحدين الدرزيين في السويداء كأنها مستقلة وتوسع للتأثير في عموم المجتمع، مع تنافس واضح بين رموزها على الزعامة الدينية. ويمكن تصنيف الفاعلين المحليين المؤثرين في مشهد محافظة السويداء على الشكل التالي:

المرجعية الدينية

01

امتد أثر الأحداث السياسية في سورية عموماً إلى المرجعية الدينية لطائفة الموحدين الدرزيين، حيث انقسمت إلى مرجعيتين، الأولى هي "مقام عين الزمان" ويتزعمها الشيخان "يوسف جربوع" و"حمود الحناوي" اللذان يعتمدان تسمية "مشايخ العقل"، والثانية "دار قنوات" بزعامة الشيخ "حكمت الهجري"، الراض لتسمية "مشايخ العقل" ويعتبرها أنها تعود لحقبة الانتداب الفرنسي، ويتخذ للدار التي يشرف عليها تسمية "الرئاسة الروحية"⁽⁷⁾.

العامل العائلي والعشائري كان له دوره في تعزيز الانقسام، والذي ظهرت بوادره الأولى بعد عام 2012، على إثر وفاة رئيس الرئاسة الروحية الموحد "أحمد الهجري"، الذي ورث الزعامة الدينية عن عمه "حسن الهجري"، وما تبع وفاته من خلافات بين "حكمت الهجري" و"يوسف جربوع" على الزعامة الدينية، ومحاولة ممثل كل عائلة المطالبة بها، وازداد الانقسام بسبب الخلاف حول التعاطي المناسب مع النظام السوري، فقد فضل "الهجري" التماهي مع النظام وحلفائه، في حين رغب "الجربوع" بمسار يعبر عن غالبية السويداء يقوم على الدعوة للحفاظ على الحياد وتجنب الانخراط في الصراع السوري، والدفاع عن أبناء المنطقة، فيما يبدو أنه محاولة لدعم سلطته الدينية بالموقف الشعبي⁽⁸⁾.

(6) الهيئة الاجتماعية للعمل الوطني في السويداء تصف حملة النظام السوري على درعا بـ "العدوان الغاشم"، شبكة "السويدياء 24" المحلية، 2021/7/29: <https://bit.ly/3Dc433b>

(7) السويداء: أبعد من قضية الشيخ الغريب، تقرير خاص لصحيفة المدن عن الخلافات بين "حكمت الهجري" و"يوسف جربوع"، 2019/3/5: <https://bit.ly/3ozMXZa>

(8) ميليشيا النجباء العراقية في ضيافة حكمت الهجري بالسويدياء، "عنب بلدي"، 2017/5/18: <https://bit.ly/3a8qJVO>

اتَّسعت الخلافات بعد عام 2014، حيث سعى "الهجري" إلى التمدد والسيطرة على "مقام عين الزمان"، الذي يشرف عليه "آل الجربوع" تاريخياً، رغبة من "الهجري" في حرمان "جربوع" من أموال التبرعات التي تصل من الداخل والخارج إلى "مقام عين الزمان"، لما تتيحه أموال التبرعات لمن يستحوذ عليها من حضور أوسع في المجتمع المحلي⁽⁹⁾.

وتباينت آراء المرجعية الدينية حول قبول المساعدات من الأمم المتحدة والدرّوز المقيمين داخل الأراضي الإسرائيلية والمرجعية الدينية التي تمثلهم برئاسة "موفق طريف"، إذ رفض "حكمت الهجري" الفكرة؛ لأنه يرغب بحفظ التوازن مع النظام السوري والدول المساندة له، في حين وافق عليها كل من "جربوع" و"حناوي"، سعياً لتوفير موارد لـ"دار عين الزمان"، التي باتت تلعب دوراً في الأعمال الإغاثية، وتقوم أحياناً بدور السلطة القضائية للفصل في المنازعات، في ظل غياب الدور الفاعل للنظام السوري⁽¹⁰⁾.

التنافس الحاصل على الزعامة الدينية، وطريقة التعاطي من الفاعلين الخارجيين مع الملفات التي تهم أبناء السويداء، تدفع المشايخ إلى تبديل المواقف السياسية، إما بهدف السعي للحصول على الدعم من أجل استثماره في تعزيز المكانة لدى الأوساط الشعبية، أو تعبيراً عن الغضب والرفض لمواقف تمس المشايخ، ففي الآونة الأخيرة بات خطاب "حكمت الهجري" أقل حماسة تجاه النظام السوري، على إثر خلاف بينه وبين العميد "لؤي العلي" الضابط البارز في جهاز الأمن العسكري، بعد أن رفض الأخير طلباً لـ"الهجري" بإطلاق سراح معتقلين من السويداء⁽¹¹⁾، في حين أن "يوسف جربوع" عارض بشكل واضح مشروع تشكيل قوات "مكافحة الإرهاب" التي تتبنى نهجاً معارضاً للنظام السوري، ودعا "مؤسسات الدولة" عبّر وسائل إعلام روسية للتدخل ومنعها، فيما يبدو أنه محاولة لمغازلة روسيا والاقتراب من موقفها، بعد حسم ملفّ درعا وفق رؤيتها دون اعتراض دولي⁽¹²⁾. وتوحدت المرجعيات الدينية في موقف واحد فقط، وهو إصدار قرار "الحرم الديني" بحق الشيخ "وحيد البلعوس" مؤسس "حركة رجال الكرامة" قبل اغتياله. ويعود هذا الاجتماع في الموقف، على الأغلب، إلى الخشية من منافسة "البلعوس" لهم على زعامة السويداء، ورفض فكرة إقدام المحافظة في الصراع السياسي⁽¹³⁾.

ويبدو أن الخلافات السياسية التي عصفت برموز ومرجعيات الطائفة الدرزية في كل من لبنان والأراضي الفلسطينية المحتلة وهضبة الجولان امتدت آثارها إلى المؤسسة الدينية وأشخاصها في سورية، وانعكست على مواقفها السياسية، فالصراع بين الزعامتين الدرزيين اللبنانيين "اليزبكية" التي يمثلها حالياً طلال أرسلان و"الجنبلاطية" التي يتزعمها وليد جنبلاط، وما تبعه من تنافس مشايخ العقل المحسوبين على التيارين، ظهر أثره في السويداء.

فقد تمكن مؤخراً الشيخ "نصر الدين الغريب" الموالى لـ"أرسلان" المتحاليف مع حزب الله اللبناني من

(9) دروز السويداء... عودة النظام المشروطة بالصراعات الإقليمية والمحلية، مشروع مسارات الشرق الأوسط، 2019/8/1: <https://bit.ly/3uGf2yV>

(10) 20 مليون دولار أرسلت إلى دروز سورية تثير عاصفة في جبل الدروز، تلفزيون "هنا" المحسوب على دروز الجولان وفلسطين، 2018/3/3: <https://bit.ly/3FfflQR>

(11) رجل إيران وتلميذ نائب الأسد... لؤي العلي الذي أشعل السويداء بشتيمة، قناة "الحرّة"، 2021/1/29: <https://arbne.ws/2Yy67no>

(12) تصريحات للشيخ "يوسف جربوع" حول الوضع الأمني والاقتصادي في السويداء، مقابلة مع وكالة "سبوتنيك" الروسية، 25 آب/ أغسطس 2021، <https://bit.ly/3a9alyG>

(13) مشايخ الدرّوز يفرضون "البعد الديني" على شيخ هاجم الأسد، "عربي 21"، 3 شباط/ فبراير 2015، <https://bit.ly/2YxJoYF>

تقريب وجهات النظر بين الشيخ "يوسف جربوع" والنظام السوري، والعمل على إبعاده عن التنسيق مع الشيخ "موفق طريف" رئيس محكمة الاستئناف الدرزية العليا في إسرائيل، بالتزامن مع تقارب بين الشيخ "نعيم الحسن" الرئيس السابق للمؤسسة الروحية الرسمية في لبنان مع الشيخ "حكمت الهجري"، ويبدو أن هذا التقارب إلى جانب إساءة استخبارات النظام لـ "الهجري" هو ما يفسر التبدلات في خطاب "الهجري" (14).

الشكل رقم (1) جدول الشخصيات الفاعلة في ملف السويداء

<p>حمود الحناوي أحد المرجعيات الدينية لدروز السوريين</p>  <p>يتولم إلى جانب "يوسف جربوع" الإشراف على مقام "عين الزمان". أقل مشاركة في الاستقطاب السياسي، ويركز على الروابط الاجتماعية.</p>	<p>يوسف جربوع شيخ عقل الطائفة الدرزية في سورية</p>  <p>قائم على دار "عين الزمان"، آدم دوراً مهماً في تلقي التبرعات من خارج السويداء وتوزيعها على أبنائها</p>	<p>حكمت الهجري رئيس المؤسسة الروحية</p>  <p>مسؤول "دار قنوات" الدينية، ورئيس المؤسسة الروحية. حفيد "أحمد الهجري" رئيس المؤسسة الروحية الرسمية لدروز سورية سابقاً. له تأثير جيد على غالبية الفصائل المحلية سواء المحايمة أو المناهضة للنظام السوري.</p>	<p>يحيى الحجار رئيس حركة رجال الكرامة</p>  <p>ينحدر من قرية "شنييرة" جنوب السويداء - قائد "بيرق الهرم" سابقاً، وهو أحد فصائل حركة رجال الكرامة. يُعتبر أحد المرجعيات الدينية لحركة رجال الكرامة منذ تأسيسها، يمتلك علاقات جيدة مع شيخ العقل "حمود الحناوي"</p>
<p>سالم الحكيم قائد قوات مكافحة الإرهاب</p>  <p>تقلب فيه ولائه، حيث عمل بداية بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية التابعة للنظام السوري، قبل أن يستقطب دعماً دولياً ويؤسس قوة مكافحة الإرهاب</p>	<p>مروان مداح رجل أعمال</p>  <p>داعم لمشروع حزب اللواء السوري، ويعتقد بعض النشطاء السياسيين في السويداء أنه القائد الفعلي لحزب اللواء</p>	<p>العميد سالم الحوش رئيس فرع أمن الدولة التابع للنظام السوري في السويداء</p>  <p>متنفذ داخل السويداء بسبب علاقاته مع الوسطاء المحليين القادرين على التأثير بقرار الكثير من الفصائل.</p>	<p>العميد أيمن محمد رئيس فرع الأمن العسكري التابع للنظام السوري في السويداء</p>  <p>يدير عدة شبكات وخطايا مسلحة من أبناء منطقة السويداء لصالح الأمن العسكري. على تنسيق مباشر مع اللواء "علي ملحم" رئيس الاستخبارات العسكرية، المكلف بمتابعة ملف السويداء.</p>
<p>ربيع أبو زهرة قائد فصائل غيارم القريا</p>  <p>له تأثير في المناطق الحدودية بين درعا والسويداء ومقبول من عشائر البدو</p>	<p>راجي فلووط قائد فصائل عسكري</p>  <p>يحظى بدعم رئيس فرع الأمن العسكري العميد أيمن محمد، ويعتبر أحد أهم المجموعات التابعة للنظام السوري</p>		

(14) السويداء: أبعد من قضية الشيخ الغريب، تقرير لصحيفة المدن عن علاقات المشايخ الدرزيين مع "يوسف الجربوع" و"حكمت الهجري"، 5 آذار/ مارس 2019، <https://bit.ly/3iGXUV3>

الفصائل والمجموعات العسكرية

ظهر في محافظة السويداء العديد من الفصائل والمجموعات والميليشيات العسكرية، بسبب جملة من العوامل المؤثرة، أبرزها البحث عن الحماية، خاصة للشبان الذين رفضوا الالتحاق بالخدمة الإلزامية، والراغبين بتجنب الملاحقة الأمنية، بالإضافة إلى السعي لتأمين مورد مالي في ظل حالة البطالة وغياب الخدمات وتراجع الليرة السورية، مع دور واضح للتنافس العائلي على القوة والنفوذ.

أ. فصائل محايدة

أبرزها "حركة رجال الكرامة"، وأسسها الشيخ "وحيد البلعوس" الذي رفع شعاراً لها "الدم السوري على السوري حرام"، لكن زعيمها المؤسس قبل اغتياله في أيلول/سبتمبر 2015 اتخذ مواقف تجعله أقرب لمناهضة النظام السوري من الحياد⁽¹⁵⁾، إلا أن الرئيس الجديد للحركة الشيخ "يحيى الحجار" أعاد لها نهج التأيي بالنفس، مع الالتزام بالدفاع عن أبناء السويداء وتوفير الحماية لهم، مما يدفعها أحياناً للصدام مع الأفرع الأمنية للنظام السوري أو فصائل موالية له.

تنتشر الحركة في مركز السويداء ومدينة "شهباء"، بالإضافة إلى قرى "القريا" و"صلخد". ومن الفصائل المحلية المحسوبة على التيار المحايد "قوات الفهد" التي أسسها "سليم الحميد"، وتنتشر في قرى "قنوات" و"عتيل" و"مفعلة". وقد تضامنت الحركة مع "حكمت الهجري" إزاء الخلاف مع شعبة الاستخبارات العسكرية التابعة للنظام السوري مطلع العام الحالي 2021، وتعلن بشكل مستمر عن رفضها عمليات التجنيد التي تقوم بها روسيا للشبان في السويداء.

ب. مجموعات عسكرية تتبع النظام السوري

تنقسم المجموعات العسكرية الموالية للنظام السوري في السويداء من حيث التبعية إلى مجموعات تابعة لفرع الأمن العسكري برئاسة العميد "أيمن المحمد"، وأخرى تتبع فرع أمن الدولة ورئيسه العميد "سالم الحوش".

مجموعات الأمن العسكري: المجموعة التي يتزعمها "راجي فلووط" تعتبر من أكثر المجموعات إثارة للفضوى والمشاكل نتيجة توزُّطها في تجارة المخدرات بالتنسيق مع قيادات في حزب الله اللبناني، وتنفيذها عمليات خطف ضد أهالي السويداء مقابل طلب فدية، وتتخذ من بلدة "عتيل" مقراً أساسياً لها، ويمتد انتشارها إلى حي "قنوات".

وفي مدينة السويداء (مركز المحافظة) تبرز مجموعة أسستها عائلة "مزهر"، بقيادة الأخوين رامي ومهند.

وتتمركز في قرية "الطيبة" شمال شرق السويداء مجموعة يتزعمها "فداء العناري" المتعاون مع فرع الأمن العسكري.

(15) شيخ درزي: وطنيون أكثر من الأسد، وهو ليس حامياً للأقليات، موقع "عربي 21"، 2015/1/29: <https://bit.ly/3BgCsND>

مجموعات أمن الدولة: أحدث العميد "سالم الحوش" رئيس فرع أمن الدولة المقرّب من روسيا اختراقاتٍ داخل محافظة السويداء على مستويين، الأول من خلال استمالة شخصيات لها تأثير على الفصائل المحلية وبعض الوُجُهاء والعوائل، أمثال "بسام حمزة"، واستثمار هذه العلاقة لممارسة النفوذ غير المباشر⁽¹⁶⁾، والمستوى الثاني عن طريق تجنيد مجموعات عسكرية، أبرزها "غيارم القرية" المتمركزة ضمن بلدة "القرية".

وتتسم العلاقة بين المجموعات المحسوبة على كل من الأمن العسكري والأمن السياسي بأنها تنافسية وليست تنسيقية، وتشهد بين الحين والآخر مواجهاتٍ مسلحةً فيما بينها⁽¹⁷⁾. ولا يزال "الدفاع الوطني" بقيادة "رشيد سلوم" يحافظ على وجوده ضمن الخريطة العسكرية في محافظة السويداء، ويتخذ من شارع "القنوات" داخل مركز المحافظة مقراً له، رغم عدم حصوله على مخضّصات مالية من النظام السوري، إذ يعتمد على تجارة الممنوعات وعمليات خطف المواطنين وطلب فدية مالية، وثمّة شكوك حول تلقيه دعماً إيرانياً⁽¹⁸⁾.

ج. مجموعات مُعارضة للنظام السوري

قوة مكافحة الإرهاب: تُعتبر قوة "مكافحة الإرهاب" بقيادة "سامر الحكيم" المجموعة العسكرية الوحيدة المناهضة للنظام السوري، فقد دخلت منذ تأسيسها في تموز/ يوليو من عام 2021 في عدة صدامات مع قوى محسوبة على النظام السوري، أبرزها المواجهات مع "الدفاع الوطني" في بلدة "الحريسة"، مما أدى لمقتل 4 عناصر من "الدفاع"، ثم بعد ذلك الاشتباكات مع مجموعة "راجي فلحوط" في "عتيل".

قوة "مكافحة الإرهاب" هي بمثابة ذراع عسكري لحزب "اللواء السوري"، الذي أعلن عنه الناشط السياسي المقيم في فرنسا "مالك أبو الخير" في شهر تموز/ يوليو 2021، ويرفع مطالب تنفيذ القرار الأممي الخاص بالانتقال السياسي في سورية 2254.

تتلقى قوة مكافحة الإرهاب تمويلاً مباشراً من التحالف الدولي لمكافحة تنظيم "داعش"، وقد حصلت على دعم قيمته قرابة مليون دولار أمريكي لمدة ستة أشهر كاختبار، وتعمل حالياً على ضمان استمرار تدفق الدعم⁽¹⁹⁾.

ويعتمد "حزب اللواء" على سرديّة الدفاع عن أبناء الطائفة الدرزية وإعادتها إلى ساحة التأثير في سورية، ويصنف بعض النشطاء السياسيين في السويداء الحزب الجديد على أنه امتداد لـ "حركة إحياء الهويّة الدرزية" التي ظهرت عام 2016، مع إبداء تخوّفات من مساعي الحزب لتأسيس "إدارة ذاتية" جنوب البلاد بدعم دولي.

(16) نشطاء في محافظة السويداء، مقابلة عبر الإنترنت، 2021/10/5.

(17) قتيل بتوتر جديد في السويداء بين مجموعة تابعة للمخابرات العسكرية وأخرى لأمن الدولة، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2021/9/12: <https://bit.ly/3DghmzQ>

(18) نشطاء في محافظة السويداء، مقابلة عبر الإنترنت، 2021/9/3.

(19) نشطاء في محافظة السويداء، مقابلة عبر الإنترنت، 2021/10/5.

قوات شيوخ الكرامة: أسّسها تجّلا الشيخ وحيد البلعوس وهما ليث وفهد، بعد أن انفصلا عن حركة "رجال الكرامة"، بسبب اعتقادهما بأن قائدها الجديد "يحيى الحجار" غيّر النهج الذي نشأت عليه الحركة في زمن والدهما، وصارت تفضل عدم الصدام مع النظام السوري بالمُطلق دفاعاً عن أبناء السويداء إلا في حالة الضرورة أو تحت ضغط الحاضنة الشعبية والعناصر. ويتبنى أبناء "وحيد البلعوس" خطاباً حاداً ضد النفوذ الإيراني، ويطالبون النظام السوري بشكل متكرر بسحب قواته الأمنية من السويداء⁽²⁰⁾.



عناصر من قوات شيوخ الكرامة في السويداء - 2018 / عنب بلدي

(20) ابن وحيد البلعوس يكشف تفاصيل اغتيال والده ويطالب النظام السوري بإخلاء السويداء، مقابلة مع تلفزيون سورية، 2021/8/6: <https://bit.ly/3oG2RkS>

الشكل رقم (2) جدول الفصائل العسكرية في السويداء

قوات شيخ الكرامة



قوات الفهد



حركة رجال الكرامة



مجموعة آل مزهر



مجموعة فلحوط



قوة مكافحة الإرهاب



الدفاع الوطني



غيابة القرية



مجموعة العناري



تُولي إسرائيل أهمية خاصة للجنوب السوري بشكل عامّ، ومن ضمنه محافظة السويداء، لأسباب تتعلق بالأمن القومي وأخرى سياسية.

النفوذ الإسرائيلي في الجنوب السوري يضمن لتل أبيب امتلاك أوراق تفاوضية مع روسيا من أجل ضمان التأثير على قراراتها في الملفّ السوري، بالأخص في قضية ضبط النفوذ الإيراني.

وأدى اللوبي الدرزي داخل إسرائيل، المنخرط في الجيش، دوراً بتعزيز اهتمام تل أبيب بمحافظة السويداء، وهذا كان واضحاً من خلال الحراك الذي يقوم به رئيس محكمة الاستئناف الدرزية العليا داخل إسرائيل "موفق طريف"، ونشاطه لجمع التبرعات وإرسالها إلى رجال الدين في السويداء لتوزيعها على السكان⁽²¹⁾.

وتحتاج تل أبيب بالفعل أوراقاً تضغط بها على موسكو لضمان المصالح الإسرائيلية الأمنية في سورية، وهنا تزايدت أهمية السويداء لإسرائيل بعد سقوط كل من "درعا" و"القنيطرة" دون إخراج الميليشيات الإيرانية منها، كما أن إقامة علاقات متينة مع الأقلية الدرزية وتوفير الدعم لها سيّج لإسرائيل استثمارها في مجابهة النفوذ الإيراني على الأرض بتنسيق مباشر.

وتتخوف إسرائيل من أن تكون محافظة السويداء نقطة التقاء بين القيادات السياسية اللبنانية المحسوبة على إيران والنظام السوري، وأرض انطلاق لاستهداف المصالح الإسرائيلية، وما يعزز المخاوف الدور الذي يقوم به مؤخراً النائب اللبناني الدرزي "طلال أرسلان"، المتحالف مع حزب الله ومن خلفه طهران.

أما على المدى الطويل، فإن علاقة تل أبيب مع الأقليات، ودعم عملية إنشاء إدارات مستقلة، سيضمن لها إضعاف أي سلطة مركزية في دمشق، سواء استمر النظام السوري بالحكم، أو حصلت تغييرات بضغط دولي، ولم يُخف المسؤولون الإسرائيليون رغبتهم بتغيير وضع الحدود في دول المنطقة ومن بينها سورية⁽²²⁾.

(21) موفق طريف يلتقي قائد المنطقة الشمالية في الجيش الإسرائيلي لنقاش حماية دروز سورية، صحيفة إيلاف، 2020/5/15: <https://bit.ly/3BoHdVE>

(22) ليبرمان: إعادة رسم خريطة العراق وسورية حل للأزمات في المنطقة، موقع الحرة، 2016/12/6: <https://arbne.ws/3ai3QPJ>

منذ التدخل العسكري الروسي المباشر على الأراضي السورية، عملت موسكو على فتح قنوات اتصال مع أكبر عدد ممكن من الدول الفاعلة في الملف، بهدف إيجاد نقاط مشتركة مع بعضها، وضمن تحييد بعضها الآخر عن دعم المعارضة العسكرية السورية مقابل تقديم ضمانات أو رعاية المصالح.

عملية فتح القنوات هذه غالباً ما تتم عن طريق الانتشار في مناطق داخل سورية لها حساسية معينة عند الفاعلين الدوليين، على غرار إقامة الشرطة العسكرية الروسية قواعد عسكرية في "عفرين"، وشمال شرق سورية، لتحسين ظروف التفاوض مع الجانب التركي.

النفوذ الروسي في السويداء، ومن ثمّ القدرة على التأثير في المشهد الداخلي، سيّتح لها التفاوض مع إسرائيل لضمان موقفها من النظام السوري، واعترافها بالمصالح الروسية، لقاء تفهّم الأخيرة للمخاوف والهواجس الإسرائيلية وتجنّب الإضرار بمصالح تل أبيب⁽²³⁾.

ومن المهمّ بالنسبة لموسكو فتح قنوات اتصال وحوارات مع مختلف الأطياف السورية، بما يُمكنها من التحول إلى الفاعل الأبرز في الملف السوري، وترجمة المكاسب العسكرية التي حققتها إلى أوراق قوة سياسية.



وفد روسي في السويداء قبيل الإنتخابات الرئاسية في سورية/ "تلفزيون سوريا"

(23) سورية في العلاقات الروسية والإسرائيلية: تناقضات ومصالح مشتركة، مركز "الجزيرة" للدراسات، 2021/3/11: <https://bit.ly/3oHBF4W>

تهتم إيران بإيجاد نفوذ لها في سورية لاعتبارات اقتصادية وسياسية، فمن ناحية تعمل على تأسيس ممر إلى البحر المتوسط عبر لبنان وسورية، ومن ناحية أخرى يقتضي الصراع بين إسرائيل وإيران على النفوذ في الشرق الأوسط من الأخيرة زرع عوامل تؤثر مستمرة على الحدود الإسرائيلية، وفق إستراتيجية الحرب عن طريق الوكلاء، سواء من خلال استقدام ميليشيات من خارج سورية، أو العمل على تشكيل ميليشيات سورية⁽²⁴⁾.

تعتمد إيران على اختراق المجتمع المحلي من أجل تأمين نفوذ لها في المناطق التي لا تستطيع أن تجلب ميليشيات من خارجها، وفي هذا السياق قدم حزب الله اللبناني دعماً لـ"الدفاع الوطني" في السويداء، كما تحاول إيران عن طريق حلفائها اللبنانيين التأثير في المحافظة⁽²⁵⁾. نفوذ إيران في سورية عموماً والجنوب بشكل خاص، يُعزّز من قوتها في عملية التفاوض المستمرة مع الدول الكبرى حول البرنامج النووي، كون هذا النفوذ مقلقاً بالنسبة لتل أبيب. يضاف إلى ذلك أن التمدد الإيراني في المناطق الجغرافية السورية الحساسة من شأنه أن يجعل روسيا حذرة أكثر في عقد أيّ تفاهّات دولية حول الملف السوري، ويدفعها لأخذ المصالح الإيرانية بعين الاعتبار.

من المهم بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أن تحافظ على حضورها في المشهد السوري بأشكال مختلفة، لاستثمار هذا الحضور سواء بالضغط على إيران أو التأثير على المسار الروسي، لكن الاهتمام الأمريكي برز في محافظة السويداء أكثر في فترة إدارة "ترامب"، فقد صدرت موافقة وزارة الدفاع الأمريكية على تمويل مجموعات عسكرية في السويداء في أواخر حقبة "ترامب"، وإن كان التنفيذ قد تأخر إلى بداية فترة "بايدن"، التي رغبت أيضاً فيما يبدو في تشكيل ضغط على روسيا، قبل افتتاح الحوار الإستراتيجي معها.

(24) مستقبل الوجود الإيراني في سورية، مركز الإمارات للسياسات، 2021/2/24: <https://bit.ly/3oUq1DY>
 (25) اتهامات لإيران وحزب الله بتأجيج فتنة الجنوب السوري، صحيفة "الشرق الأوسط"، 2020/10/3: <https://bit.ly/3v4vw3Z>
 - طلال أرسلان يرسل وفداً أمنياً لمقابلة مرجعيات دينية في السويداء، "ليبانون فايلز"، 2017/3/15: <https://bit.ly/3mHVbMb>

رابعاً:

مستقبل المحافظة المحتمل

ازداد الاهتمام الروسي بمحافظة السويداء بعد التسويات الأخيرة في محافظة درعا، فقد تحرك المتعاونون المحليون من أجل تجنيد قرابة 700 مقاتل لتشكيل لواء يتبع الفيلق الخامس، على غرار اللواء الثامن في درعا.

وقد عززت روسيا التواصل مع بعض المرجعيّات الدينية أبرزهم "يوسف الجربوع"، الذي بدأ وكأنه يُجري مراجعة لموقفه، وتسعى روسيا من خلال هذه الخطوات إلى زيادة التواصل مع المجتمع المحلي.

حسّم مصير محافظة السويداء سيكون متعلقاً بالتفاهّمات الإسرائيلية والروسية، ومدى قناعة تل أبيب بالخطوات الروسية لضمان مصالحها، حيث إن الطرفين ينتظران نتائج المشاورات حول عقد حوار إستراتيجي حول سورية، أملاً في رفع التنسيق من جديد مع إسرائيل، والذي يعاني من انتكاسة منذ رحيل حكومة "نتنياهو".

وبناءً عليه يمكن أن نتوقع سيناريوهين لمستقبل محافظة السويداء:

سيطرة روسيا

01

وهذا السيناريو سيتضمن توقّف واشنطن عن تقديم الدعم لقوة مكافحة الإرهاب، وكذلك التزام إسرائيل بعدم تأليب الفصائل المحلية على موسكو، مقابل أن تستجيب الأخيرة لمطالب واشنطن وتل أبيب، المتعلقة بعدم السماح لإيران بتأسيس بقاء طويل الأمد في السويداء، وقد نشهد مُوافقةً روسيةً على نوع من الحرية الإدارية -أقل من اللامركزية- لمحافظة السويداء، بما يُمكن أبنائها من المشاركة بشكل فعّال في الحوكمة.

في حال حسمت روسيا الملف لصالحها، فمن غير المستبعد أن ترفع الفصائل المحلية عموماً من تنسيقها مع موسكو، بهدف ضمان مصالح أبناء المنطقة، ودورهم في مستقبل سورية، بالإضافة إلى إطلاق مسار تسوية خاصة لتصحيح أوضاع المتخلفين عن الخدمة الإلزامية، ومما يجعلنا نرجح إطلاق مسار التسوية حرص روسيا المستمر على إبراز السيطرة للنظام السوري في مختلف المناطق.

ويعتبر هذا السيناريو هو الأرجح، في ظل ما نتابعه من تراجع مستمر في الاهتمام الأمريكي بالملف السوري، ورغبة "أمريكية - إسرائيلية" متنامية بالعمل المشترك مع روسيا من أجل ضبط النفوذ الإيراني، والقبول بها كضامن في سورية.

استمرار الاضطراب

02

قد تستمر الاضطرابات في محافظة السويداء من خلال سعي الفاعلين الدوليين لإقلاق راحة روسيا عن طريق الفاعلين المحليين في السويداء، في ظل عدم القدرة على الحسم العسكري من طرف النظام السوري وموسكو. لكن في هذه الحالة ستكثف المؤسسات الأمنية للنظام السوري من جهودها لتوسيع عملية الاختراق للمجتمع المحلي، وزيادة توظيف الميليشيات لصالحها.



من احتجاجات مدينة السويداء السورية © أ ف ب

خاتمة

يُشكّل المشهد في محافظة السويداء نموذجاً عن الحالة السورية، ومدى انعكاس الصراع الدولي على مواقف الجهات المحلية الفاعلة الباحثة عن تأمين مصالحها، أو مستقبل السكان المحليين، وتعزيز حالة التنافسية والصدام بينها.

هذا التدخل بالإضافة إلى النشاط الأمني الذي تمارسه جهات متعددة، والأوضاع الاقتصادية المتردية، والبحث عن مصادر تمويل للسكان المحليين، أسهم في تقلب مواقف الجهات الداخلية أحياناً، وتراجع تأثير المرجعيات الدينية والعشائرية، مع تنامي التنافس العائلي.

وفي ظل هذه التعقيدات، فإن حالة الفوضى الفصائلية، والتي يحاول النظام السوري ومن خلفه الدول الداعمة له أن يحوّلها إلى حالة ميليشياوية، تبدو بوابة مهمة لإقناع السكان المحليين بدور أكبر لأفرع الأمنية، وحسم مصير المحافظة، كخيار بديل في حال تعذر الحل العسكري، وهكذا سيتمكن النظام السوري ومن خلفه روسيا من فرض نفسه كأمر واقع على الأطراف الدولية لتجلس معه على الطاولة وتفاوضه على مصالحها، وسترحب روسيا بذلك في حال فشلت في السيطرة على المنطقة بشكل فعلي.



السويداء: صراع الأجنـدات المحليـة والدوليـة

إعداد:

إعداد: فراس فحام

باحث رئيسي في مركز جسور للدراسات

تصميم واخراج



www.jusoor.co